Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجَلّةُ تَسْنِيمِ الدَولِيّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

العدد السابع عشر – حزيران – June / 2026

# الطبيعة في شعر ابن زيدون

**م. م. نغم كاظم علي [1]**
[1] وزارة التربية – المديرية العامة للتربية في محافظة النجف الاشرف – العراق
almalika.309@gmail.com

**ملخص**. شعر الطبيعة فنٌ أصيل أرتبط بالشعرِ العربي مُنذَ نشأته، فالطبيعة كانت دائماً مصدر الوحي والألهام للشعراء، فما أن يمْثلوا أمامها حتى تنسال أوصافها من بين شِفاههم رقيقةٌ عذبة، فقد عاشَ الشاعر الأندلسي في بيئة تفيض سحراً وجمالاً، فأبدع في تفاعلهِ معها، وقد يصل هذا التفاعل الى درجة التوحد في بعض الأحيان.لقد كرستُ هذه الدراسة المتواضعه للبحث في شعر الطبيعة بنوعيها الثابت والمتحرك وعناصر كل منهما وكيف قام الشاعر ابن زيدون بتناول هذين العنصرين: – الثابت وما تضمنه من أرض وسماء وجبال ونبات... – ومتحرك كالحيوان والماء والغيوم والسحاب... مُبينه الأثر الكبير للبيئة الاندلسية في تلوين هذا النوع من الشعر، كما أخذت بعين الاعتبار ذلك الترف الشديد الذي عاشهُ الاندلسيون بشكل عام، وما عاشهُ ابن زيدون من مواقف حياتيه كسجنهِ وحبهِ لولادة بشكل خاص..وقد تناولت ذلك كله بالدراسة والتحليل بشكل مختصر غير مكثف بما يلائم سِعة البحث، وقد قسمت البحث الى مبحثين ضمَّ المبحث الأول الطبيعة الثابته بينما ضمَّ المبحث الثاني الطبيعة المتحركة، وقد ذكرت في المدخل شيء من حياة ابن زيدون وعلاقته بالطبيعة على سبيل التعرض للظروف الحياتية التي عاشها الشاعر وكيف أثرت في شعره راجيةً أن ينالَ هذا البحث إعجاب القاريء.

الكلمات المفتاحية: ابن زيدون، الطبيعة الثابتة، الطبيعة المتحركة

**Abstract**. Nature poetry is an authentic art that has been linked to Arabic poetry since its inception. Nature has always been a source of inspiration

and inspiration for poets. As soon as they appear before it, its descriptions flow from between their lips, tender and sweet. The Andalusian poet lived in an environment overflowing with magic and beauty, so he excelled in his interaction with it, and this interaction may reach To the point of autism sometimes**.** I devoted this modest study to researching nature poetry, both static and dynamic, and the elements of each, and how the poet Ibn Zaydoun dealt with these two elements: **-** Stability and its guarantees of land, sky, mountains and plants. And moving like an animal, water, and clouds. An illustrating the significant impact of the Andalusian environment on the coloring of this type of poetry, I also took into account the extreme luxury that the Andalusians experienced in general, and the life situations that Ibn Zaydun experienced, such as his imprisonment and his love for childbirth in particular. I dealt with all of this with study and analysis in a brief, non-exhaustive manner. It suits the breadth of the research. I divided the research into two sections. The first section included static nature, while the second section included moving nature. In the introduction, I mentioned something from the life of Ibn Zaydoun and his relationship with nature by way of exposing the life circumstances that the poet lived and how they affected his poetry, hoping that this research will be admired the reader.

**Keywords**: Ibn Zadoun, Stable nature, Moving nature.

## المقدمة

الأندلس تلك الأرض الطيبة والخصبة ذات الطبيعة الساحرة التي أُعجب فيها المؤرخون والجغرافيون ووصفوا بساتينها الجميلة العامرة بالأشجار المثمرة وحدائقها ورياضها الغنّاء، تختال بزهورها وورودها، وجبالها وهضابها مخضلة خضراء.

وعند ذكر الأندلس لا بدَّ من ذكر ابن زيدون الذي يُعدُّ من أشهر أدباء وشعراء الأندلس لا سيما في عهد ملوك الطوائف، وهو شاعر عُرف بحبِّه لطبيعة الأندلس وأرضها الغرّاء فمن رحم قُرطبة في خريف (394هـ) ولِدَ، وعلى أرضها الخضراء نشأ، وتحت ظلال أشجارها ترعرع، ومن فيض علم شيوخها وعلمائها استقى ثقافته (ينظر، ربيع، 19: 2013).

وهو (أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن زيدون المخزومي) تمتدّ جذوره لأسرة عربية قرشية هي (قبيلة بني مخزوم) كان لها شأن كبير ومكانة عظيمة في الجاهليّة والإسلام، وقد عُرِفت بالعلم والأدب. (ينظر،

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256



الشنتريني، 1: 336/1979). وكان والده " من أعلام قرطبة وفقهائها المعروفين، فضلاً عن كونه من أهل المعرفة باللغة والأدب" (الشنتريني، 336: 1979–337). وكانت ولادته في الرصافة إحدى ضواحي مدينته قرطبة التي تُعدُّ من أشهر مُدن الأندلس "فهي بمنزلة الرأس من الجسد". (التلمساني، 1: 152/1949) ، وفيها واصل حياته الأدبية والسياسية مقرّباً من الأمراء ومبعداً ثُمَّ سجيناً، ومن ثَمَّ واصل مسيرته الأدبية والسياسية بعد فراره من السجن في أشبيلية، وفيها كان مثواه الأخير في عام (463هـ).

وهكذا كانت حياته في ظلّ دولتينِ مضطهداً تارةً، ومتنعماً تارةً أخرى، وكان شاعراً متعدد المواهب والميول والمشاغل والاهتمامات، فهو سياسي وأديب محنك وبارع طموح، عانى – بسبب ميله للسياسة– العذاب في السجن، وهو فضلاً عن ذلك رجل لهو اعتاد على ارتياد مجالس اللهو والطرب والأدب. (ينظر، ربيع، 19: 2013).

وكان لسجنه أثرٌ في حياته وانعكس ذلك على شعره، إذ ترك عذاب السجن وهجر ولّادة وفراقها وفراق أمهِ أثراً في نفسه ممّا طبع شعره بطابع عاطفي مؤثر، وكان من الآثار التي تركها السجن في نفسه ميله للطبيعة، إذ كان يُناجي ولَّادة ويعاتبها مستذكراً أيام الحرية معها في قرطبة وهو يقضي سويعات الهناء في أفياء أشجارها بين أزهارها ووردها، يقطع ما يشتهي من ثمارها، وينعم بتغريد طيورها فأختلطت عنده صورة الطبيعة بصورة الحبيبة والعكس صحيح أيضاً فضلاً عمّا أستعمله في بناء جملهِ الشعرية وصوغ صوره والأساليب الفنية من مفردات هذه الطبيعة ومناظرها (ينظر، ربيع: 21).

ابن زيدون شاعرٌ عاشق للطبيعة ومغرمٌ بها، وشعره فيها يكاد يكون ضرباً من الغزلِ، فالطبيعة مُلهمة وموحية لمن يَقدِر على أن يستشفَ ما وراءها من ظواهر ومعانٍ ودلالات.

وهو لم يقصر حبّه على الطبيعة منفردة، فهي لم تستهوه وحدها، بل اختلط حبّه للطبيعة بهيامه للحبيبة التي نَعِمَ بوصالها، فتغنَّى بأعذب ألحان الوصا، ثم "شَقيَّ حين ملتهُ وتحولت الى غيره، فشدى أشجى نغمات الشكوى والحرمان والعذاب" (ربيع، 26: 2013) ومشاعرُ الحبِّ في كلِّ حالاتها لم تمتزج بالطبيعة وحدها، إنما أمتزجت بحبه لوطنه (قرطبة) ، ولازمَ هذا الارتباط بين الحبيبة والطبيعة وقرطبة الشاعر طوال حياته الفنيه والعاطفية.

وبما إنَّ الشعر الأندلسي يُعدُّ امتدادًا للشعر المشرقي الذي كان حافلاً بمشاهد الطبيعة في مختلف عصوره بكلِّ ما فيها من مظاهر وموجودات، وعلى الرغم من قلة انصراف الشاعر المشرقي إلى موضوع من موضوعات الطبيعة لذاتهِ، إنَّما يأتي عرضاً في سياق الغزل أو الفخر أو المديح إلا إننا نلمس التأثر الواضح لدى الشعراء فيما يخصُّ موضوع الطبيعة في شعرهم فلم تخلُ القصيدة المشرقية من عرض لوحة

مَجَلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

الرحلة في القصيدة الجاهلية أو في مقدمتها أثناء وصف الطلل وإقفاء الديار أو لوحة وصف الصيد (ينظر، ربيع، 30: 2013).

وإذا كان الشعر الأندلسي في بداياته خاصةً إمتداد للشعر المشرقي فإنَّه بمرور الزمن والتأثر بالبيئة الاندلسية وأجوائها وطبيعتها الساحرة قد اكتسب خصائصه الفنيه والموضوعية وأصبحت له سماته المميزة، والتي من أهمها وصف الطبيعة، والعناية بمشاهدها، والافتنان في التعبير عن حبِّها. فقد فاق " الأندلسيون المشارقة في شعر الطبيعة كمّا وكيفماً، وتوسّعوا ونوّعوا في موضوعاته توسعاً وتنوعاً فاق كلَّ اعتبار، كما أنَّهم كانوا فيه أكثر براعةً وابتكاراً وتجديداً ودقة تصوير" (عتيق، 391: 1976) ، وكان من نتاج هذا الحب والافتنان تغنّي شعراء الأندلس بمفاتن الطبيعة، ومن بينهم برز ابن زيدون كأحد الشعراء الذين أحبوا الطبيعة فظهرت أثار الحب في شعرهم، فكان حبُّه للطبيعة جازماً زاد من عمقهِ اختلاطه بحبِّ ولّادة وامتزاجه بعشق قرطبة مدينتهُ ذات الطبيعة الساحرة، والمتأمل لصور الطبيعة في شعره، يشعر أنَّ الشاعرَ يتغنى في مشاهدها الساحرة؛ لذا تجلت هذه المشاهد في قصائده، وشكّلت صور شعرية، ووسيلة استحضار لذكريات الحبيبة، سواءً أكانت سعيدة أم حزينة، فالطبيعة بكلِّ موجوداتها ومظاهرها ومشاهدها ومايدبُّ على الأرض ويغرّد على أفنان الشجر، ويطير في السماء أو يرعى في الفلوات، كانت حبيبة لابن زيدون ورفيقة له في رحلته الفنية والعاطفية، وتُصنّف هذه المظاهر الطبيعية في شعر ابن زيدون إلى طبيعة ثابته. وطبيعة متحركة.

## 1. المبحث الأول: الطبيعة الثابتة

إنَّ الأدبَ – ولا سيّما الشعر– نتاجُ عوامل عدة يأتي في مقدمتها أثرُ البيئة، بل إنَّ بعض الفنون الشعرية هي من صنع البيئة نفسها، وخير مثال على ذلك شعر الطبيعة فما هو إلا انعكاس مباشر للبيئة الطبيعيه التي يعيش فيها الشاعر بكلِّ مظاهرها مصوغة على هيأة جمل شعرية تتضافر وتتلاحم لتصنع القصيدة، ومادة بناء هذه الجمل هي (مفردات الطبيعة) من أشجار وأزهار وألوان ومياه و وتغاريد الطيور، والبيئة التي عاش فيها ابن زيدون كانت غاية في السحر والجمال أُتيح له أن ينعم بعبق شذاها، وخرير مياهها وجمال ألوانها ووديانها الصافية ونوح حمامها.

وزاد الشاعر ألفة لهذا المكان المزدان بجمال الطبيعة ما وجدهُ فيها من حبيبة ساحرة تملك عليه قلبه فيهيم بها (ينظر، المصري، 22: 1986).

وإذ تكون مظاهر هذه الطبيعة الثابتة المقصود بها " الأرض ومشتملاتها من جبال، ورياض وحقول، وما يرتفع في سمائها من أفلاك ونجوم وكواكب، وشمس وقمر وما ينتج عن علاقاتها من شمس وقمر من خسوف وكسوف وضياء وبرق وإشراق وليل ونهار وحر وبرد." (ينظر، ربيع، 31: 2013) على هذا القدر

من القرب والمحبة الى روح الشاعر فلا عجب أن نجدها واضحة في شعره يستعرضها على نحو مباشر أو مبثوثة في تضاعيف جملهِ الشعرية أو وسيلة من وسائل التعبير البياني لديه، وما يرد ذكره أو وصفه من نبات أو جبال أو هضاب أو ما سواهما فرداً أو جمعاً، إنَّما يأتي للمقارنة والمشابهة، وغالباً ما يأتي ذكرها لبناء صورة شعرية أو أداة للتصوير البياني والمجاز كناية واستعارة وتورية، وغيرها من فنون التصوير والتعبير ونادراً ما يأتي ذلك موصوفاً لذاتهِ.

وفي هذا المبحث (الطبيعة الثابتة) سيتم الحديث عمّا يرد من نبات وأشجار وأرض وجبال وهضاب وظواهر طبيعية بصورة مختصرة وذلك لاختصار موضوع البحث.

### 1.1. النبات

يشكّلُ أهم مظاهر الطبيعة في الأرض، وإمارة الحياة فيها وأجملها، ومأوى لكثير من حيواناتها، والرياض تستمد وجودها من وجود النبات فيها، وأكثر وأهم ما يتكوّن منه النبات هو الشجر وأهميته بالنسبة للإنسان والحيوان عظيمة وكبيرة، والشجر من أكثر أنواع النباتات وروداً في شعر الطبيعة فكلُّ ما يدور فيها من أهتمام بأغصانها وأوراقها وورودها وثمارها وظلالها وما يغرّد على أفنانها من طير شكّل ركناً مهماً من أركان بناء صورة الطبيعة في شعر ابن زيدون. وغياب مفردة (الشجرة) أو (الشجر) في شعر ابن زيدون لا يعني غياب هذا النوع من النبات، بل إنَّ لمرادفاتها حضوراً يتمثل في (الأيكة) و (الدوحة) كما يتمثل في أسماء الشجر وانواعها (كالآس والسدر والبان). (ينظر، ربيع، 33: 2013). وفي الحالتين (الأنواع المسماة والمرادفات) ستنصب الدراسة على الشجرة سواء أجاءت موصوفة لذاتها أم جاءت أداة لبناء الصورة وتشكيل جملة شعرية.

وردت لفظتا (نبت) و (نبات) في شعر ابن زيدون مرة واحدة لكلّ منهما، واللفظتان استعملتا على وجه الحقيقة الأولى في قصيدة يبدو أنَّه عبَّر فيها عن مشاعر الحب، إذ يستذكرُ مجلساً مع حبيبته في مكان ما في مدينته قرطبة الجميلة حيثُ الهضاب المجلوة الحسن (النبت):

"هي هضاب مجلوة الحسن حُمر وبراث مصقولة النبت عُفْر"

(ابن زيدون، 316: 2004)

وأمَّا الثانية فقد وظَّفها أثناء وصفه لليلةٍ من ليالي قرطبة إذ يصف مجلساً مُزداناً بالنباتات وألوانها الحُمرْ والصفر قائلاً:

"وكم مشهدٍ عند (العقيق) وجسْرِهِ
قَعدْنا على حُمر النباتِ وصُفْرِهِ "

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

(ابن زيدون، 155: 2004)

وثمّة صفة من صفات النبات نجدها في شعر ابن زيدون وهي (الجميم) وتعني (الكثير) ، وقد وردت مرة واحدة في سياق مجازي يصفُ فيها صديقه (بشر) :

"قل لي بأي خلال سَره — وكَ قَبْلُ أُفتنُ أو أهيمْ
أبمجدكَ العَمَم الذي — نسقَ الحديثَ مع القديمْ
أم برّك العذبِ الجمام — وبشرِك الغضّ الجميم "

(ابن زيدون، 27: 2004).

## 1.2. الأرض

أ/ الروضة والروض والرياض:

الروضة تعني الارضَ ذات النبات والخضرة، وجمعهما الروض. (إبراهيم، 1985) ، وتكرّر لفظ (الروضة) في شعر الطبيعة الزيدوني (44) مرة؛ بحكم معناها الواسع على الأرض المعشبة والبستان والحديقة والأرض المزروعة، ودائماً تأتي مفردة (الروضة) في سياق استذكار لحظات السعادة، وأكثر ورودها في سياقات مجازية كما في قوله مستذكراً لقاءه بالحبيبة ولّادة:

"إذ نحنُ في روضةٍ – للوصل– نعَّمها
من السُرورِ غَمامٌ فَوْقها صابا"

(ابن زيدون، 142: 2004)

وقد جاءت لفظة (روض) بصيغة الجمع مرتين في بيت واحد في المعنى الحقيقي لها في صدره وعلى سبيل المجاز في عجز البيت حيث وصف الشاعر حبيبته فقال:

" مَشَيْنَ يُباهينَ رَوْضَ الرُّبا — بيانعِ روض الصَّبا المُقْتَبلُ "

(ابن زيدون، 2004: 149)

ب/ الأرض وتُرابها

لم تحتل الأرض الغبراء المكانة التي احتلتها الأرض الخضراء في الشعر الزيدوني، إذ كان للرياض والأشجار المِخضوضرة والزهور والغرس حيز ملحوظ في شعره، غير أن الأرض وما اشتملت عليه من توابع كانت حاضرة في المشاهد الطبيعية وفي أساليب بناء الجملة الشعرية (ينظر، ربيع، 53: 2013).

و (الأرض) بهذا اللفظ تحديداً وردت (ست عشرة مرة) كتعبير عن وجودها الحقيقي لا وردت مسنداً إليها أفعال مُنزاحة عن معانيها لتكسبها نضرة وبهاء يقول:

العدد السابع عشر – حزيران – June / 2026

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَولِيّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256


"بكم باهت الأرضُ السماء فأوْجُه
شموسُ وأيدٍ في المُحولِ سحابٌ"
(ابن زيدون، 444: 2004)
"بهم باهت الارضُ السماءَ، فأوُجه
شموسٌ وأيدٍ من حيا المُزن أُكفُ"
(ابن زيدون، 533: 2004)

وقد تكرر تعبير (باهت به الأرض السماء) في صورة شعرية مركبة كما رأينا في البيتين السابقين.

ويذكر الشاعر مرأى الأرض الذي راق، فتذكّر ولّادة حبيبته:

"إني ذكرتك بالزهراء مشتاقاً          والأفقُ طلقٌ ووجه الأرض قد راقا"
(ابن زيدون، 157: 2004)

ومثلما وردت لفظة (الأرض) وردت مرادفاتها أو ما يشير إلى بقعة منها، وتأتي في مقدمة هذه الألفاظ لفظة (الثرى) إذ جاءت في تعبير مجازي يرسم فيها صورة افتتان.

" أنا غرسُ في ثرى العلياء          لو أبطأتْ سُقياك عنه لَذبُل"
(ابن زيدون، 418: 2004).

**1.3 الجبال والرُّبا والفلوات:**

القارىء لشعر ابن زيدون يُلاحظ ندرة اهتمام الشاعر بلفظةِ (الجبال) قياساً الى اهتمامه بلفظة (الرُّبا) إذ لم ترد في ديوانه لفظة (الجبال) إلا مرة واحدة في رثاء ابن ذكوان حيثُ يقول:

" الآن بيَّنَ للعقول زوالُه          إنَّ الجبالَ قُصارُهُنَّ زَوالُ "
(الديوان، 567: 2004)

وتكررت لفظة (الرُّبا) (خمس مرات) في شعره، ومردُّ اهتمام الشاعر في هذا إلى أنَّه يجدُّ في (الرُّبا) دلالاتٍ موحية بالجمال والفرح؛ لِمَا فيها من خضرة ظاهرة وزهور وأشجار، ودليل ذلك أنَّ أكثر ما جاء فيه مفردة الرُّبا يتعلّقُ بالصُّورة الشعرية لمشاهد الطبيعة الجميلة، ومن ذلك:

(وكائنْ عَدَوْنا مُصعدينَ على الجسر
الى الجَوْسق النّصريّ بين الرُّبا العُفْر
ورُحْنا الى الوَعساءِ من شاطيء النهرِ)
(ابن زيدون، 158: 2004-159)

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَولِيّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

ونلاحظ ورود (الوعساء) إلى جانب (الرُّبا) وهي رابية من الرمل تُنبت البقول، وقد جاء هذا المشهد في وصفه للحبيبة فيقول:

(بدتْ في لِداتِ كَزُهرة          النجوم حِسانِ التحلّي مِلاح العطل
مشيْنَ يُباهين روض الرُّبا          بيانع روض الصّبا المُقتَبل)

(ابن زيدون، 149: 2004)

وجاءت لفظة (الهضاب) ثلاث مرات وهي مرادفة للفظة (الرُّبا) في معناها، وقد رسم بها صورة فاتنة لمشهد من مشاهد الطبيعة:

(حين نَغدوالى جداول زُرْقٍ          يتغلغلن من حدائق خُضْر
في هضابٍ مجلوةِ الحسنِ حُمْر          وبراثٍ مصقولةِ النَبْتِ عُفرِ)

(ابن زيدون، 316: 2004)

ويُلاحظ الصورة الفاتنة الجميلة التي بدت كقوس قزح الألوان إذ تضافرت رسمة الألوان فيها: الأزرق والأخضر والأحمر، فتوزعت على الجداول والهضاب والحدائق، وما أضفاه امتزاج هذه الألوان من جمال خاص على المكان (ينظر، شنوان، 101: 1999-102).

## 2. المبحث الثاني/ الطبيعة المتحركة

لقد حفل شعر ابن زيدون بذكر مظاهر الطبيعة المتحركة ومنها الأنهار والبحار والطيور والغمام، وتمَّ توظيفها في صور مجازية تارةً، وتعابير حقيقية تارةً أخرى، فالطبيعة التي عاشها الشاعر تجعل هذه الظاهرة مألوفة ومن ثَمَّ" فإنَّ ذكرها على سبيل الوصف الحقيقي وارد، واستعمالها في الصور الشعرية متوقع أيضا". (ربيع، 80: 2013)

وقد قسمنا مظاهر الطبيعة المتحركة في شعر ابن زيدون إلى:

### 2.1. البحار والانهار

استعمل ابن زيدون (البحر) في مناظر الطبيعة ومشاهدها بوصفه جزءاً من صوره الشعرية، ولم يُورده على وجه الحقيقة مذكوراً لذاته أو موصوفا، بل وردَ في صور فنية بيانية مجازاً وأكثر ما يكون في سياق المديح ولا سيما في توكيد صفة الكرم للممدوح كمدحه للشاعر بن عباد قائلاً:

"أفاض سَماحُكَ بحر الندى          وأقتبسَ هَدْيُكَ نور الهدى"

(ابن زيدون، 286: 2004)

العدد السابع عشر – حزيران – June / 2026

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

وتكرّر المعنى نفسه عندما خاطبَ أبا الوليد بن جهور، حيث قال:

"ظنَّ العِدا، إذْ أَ غَبَّتْ أنها انقطعتْ　　　هيْهاتَ ليس لمدِّ البحر مُنقطعُ"

(ابن زيدون، 379: 2004)

فالشاعر استعمل لفظة (البحر) مضافة إلى كلمة (المدّ) مبيناً إنَّ كرم ممدوحه غير منقطعٍ، فهو في مدٍّ لا حدّ له.

وقد تكررت لفظة (البحر) أيضاً في مديحه للأمير فقال:

"أيُّها البحر الذي مهما نَقِسْ　　　بالندى يُمناهُ فالبحرُ وَشَلْ"

(ابن زيدون، 418: 2004)

وأينما وردت لفظة البحر في شعره فإنّها تجيء للدلالة نفسها، غير ورودها مرة واحدة على سبيل المبالغةِ في وصفه لماء يتدفق إلى بركة إذ وصف الماء الغزير في (البحر) فيقول:

"مرمرٌ أوقدَ الفِرَنْدَ عليه　　　سَلْسَلٌ بحرهُ الزلالُ يفيضُ"

(ابن زيدون، 324: 2004)

وهكذا فإننا لم نجد (البحر) الذي تكرّر (إحدى وعشرين) مرة قد أفاد المعنى الحقيقي في شعر ابن زيدون كلّه، وقد وردت لفظة (اليم) مرادفة للبحر حيثُ يقولُ:

"وفي أمِّ موسى عِبْرةً إذ رَمَتْ به

إلى اليمّ في التابوتِ فأعتبري واسْلي "

(ابن زيدون، 347: 2004)

وبخلاف لفظ (البحر) استعمل ابن زيدون لفظ (النهر) ثلاث مرات في شعره ليدل على معناه الحقيقي، إ ذ لم يرد مجازا، إنّما عنت (نهراً) بعينهُ في قوله:

"ويوم لدى (البنتي) في شاطيء النهر

تدارُ علينا الراحُ في فتيةِ زُهرِ"

و (البنتي) نهرٌ صغير ينساب في ضواحي قرطبة نسبةً إلى حصن النبت في بلنسية. (ابن زيدون، 154: 2004)

**2.2. الغيوم والسحب والمطر**

كان لها الحظ الأكبر من بين مظاهر الطبيعة الأخرى في شعر ابن زيدون، وقد نوّع ابن زيدون في استعمالها في صور مجازية تارةً، وتعابير حقيقية تارةً أخرى، وقد امتزج النوعان (الحقيقة والمجاز) أحياناً.

ورد تكرار لفظة (الغمام) إحدى وعشرين مرة، فقد جاءت في هذه الصورة التي يرسمها هذان البيتان وصفهُ لمكان حقيقي في مدينته قرطبة بأسلوب خيالي رائع (ينظر، ربيع، 80: 2013)

"أَذكرتني سالِفَ العيش الذي طابا
ياليت غائب ذاك العهد قد آبل
إذ نحنُ في روضةٍ للوصل نعَّمها
من السرور غُمامٌ فوقها صابا"

(ابن زيدون، 142: 2004)

وتكررت لفظة (الغمام) في صور مجازية في مديح الشاعر لأبي الوليد بن جهور حيث قال:

"للجهوري أبي الوليد خلائقٌ كالروض أضحكه الغمام الباني
يَنعتْ جِنانُك تحت صوب غمامهِ وصَغَتْ جِمامُكَ واستُلذ جناك"

(ابن زيدون، 422: 2004)

وقد أقترن أيضا (البرق) بـ (الغمام) كما وردَ في تهنئة الشاعر للأمير ابن جهور بعيد الفطر:

"هو البشرْ شِمْنا منهُ بَرقَ غمامةٍ
لها باللُّها في المعْتفينَ مصابُ "

(ابن زيدون، 442: 2004)

وقد وردت لفظة (السحابة والسحاب والسحب) مكرّرة عشر مرات، وأكثر ما جاءت هذه المفردات في صور شعرية مجازية، وعلى وجه الحقيقة نادر جداً كقول الشاعر متغزلاً:

"ما البدرُ شفَّ سناهُ على رقيق السحابِ
إلا كوجْهكِ لمّا أضاء تحت النقابِ"

(ابن زيدون، 177: 2004)

وممّا يُلاحظ أنَّ لفظَ (المطر) بمرادفاتهِ المتعدِّدة لم يتردد كما تردد (الغمام أو السحاب) في شعر ابن زيدون، وإذا وردَ فيكونُ نادراً في شعره، أمَّا مرادفاته فقد وردت كـ (القطر) الذي وردَ (خمس مرات) على نحو ما جاء في تَهنئة الشاعر للأمير بالفصدِ بمعنى مجازي. (ينظر، ربيع، 84: 2013)

" فصادَ أطابَ الدهرَ فالقطرُ في الثرى
كما طاب الورَردِ في العَنْبرِ الورْدِ "

(ابن زيدون، 540: 2004)

مَجَلّةُ تَسْنِيمِ الدَولِيّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

### 2.3. الرياح:

القارئ لشعر ابن زيدون يلاحظ غرابة اقتران ذكر (الهواء) الذي تكرّر (ست مرات) مُقترناً بذكر الفاكهة، فقد جاء ذكر (الهواء) مرتين في وصف (العنب) ، ومرة واحدة في وصف (التفاح) ، فمِن وصف العنب قوله:

"يَروقُ العينَ منه جسمٌ ماءٍ        غدا ثوب الهواء له شعارا"

(ابن زيدون، 219: 2004)

وأيضا:

"أكسبَتهُ الأيامُ بَرْدَ هواءٍ        فهو جسمٌ قد صيغ ناراً وماءَ"

(ابن زيدون، 294، 2004)

أمَّا ورود لفظة (الهواء) في وصف التفاح ففي قوله:

"ثمارٌ تضمَّن إدراكها        هواءُ أحاط بها مُعتدلِ "

ولفظة (الريح) مفردة فقد وردت على نحو غريب فقد وردت في القرآن الكريم معبرةً عن الشدة والقوة والعنف في قوله تعالى: "وأمّا عاد فأهلكوا بريحٍ صرصرٍ عاتية" (سورة الحاقة، 6) ، وقوله تعالى: "بل هو ما استعجلتم به ريحٌ فيها عذابٌ أليم". (الاحقاف، 24).

ولكن في شعر الطبيعة عند ابن زيدون فقد وردت لفظة (الريح) بخلاف المألوف، إذ دلَّت على الرائحة الطيبة، وجريانها برخاء على نحو ما جاء في ذكرياته عن مدينة قرطبة. (ينظر، ربيع، 94: 2013)

"ورُحْنا إلى الوعساء من شاطيء النَهْر
بحيث هبوب الريح عاطرة النشرِ على قُضبِ النُوار فهي تْكَفَّأُ"

(ابن زيدون، 159: 2004)

ونجد الشّيء نفسه في ذكرياته عن (بلنسية) قائلاً:

"راحتْ فراح بها السقيمُ        ريحٌ مُعّطرةُ النسيم"

(ابن زيدون، 268: 2004)

### 2.4. الحيوانات

ذكر ابن زيدون الحيوانات في شعره على نوعين: ما كان ضارياً ومتوحشا كحيوانات البراري والصحاري أولاً، وما كان أليفاً وداجناً ثانياً، غير أنَّ النوع الأول قد أخذ مساحةً أكبر ممَّا أخذه النوع الثاني. (ينظر، ربيع، 111: 2013)

وعلى الرغم من قلة ورود الحيوانات الداجنة والأليفة في شعره إلا إنّنا نجد (الحصان) قد حُظي بأهتمام كبير من الشاعر، إذ تكرّر ذكره موصوفاً بالجواد والسابح والعراب والأحرد (للخيول) و (المذاكر) ثلاثاً وعشرين مرة.

ومن الغوص في الشعر الزيدوني لُوحظ غياب مفردتين (حصان) و (فرس) بين أسماء الحصان، في الوقت الذي استعمل مفردة (خيل) مرة واحدة فضلاً عن إيثار الشاعر للفظتي (جواد) و (جياد) و تكرارهما أكثر من سواهما، فمن استعمال الشاعر لمفردة (جواد) قوله:

"ألا هلْ أتى الفتيانَ أن فتاهُمُ    فريسةُ من يعدو ونهزةُ من يسطو
وأن الجواد الفائت الشأو وصافنٌ    تخوّنهُ شكلٌ وأزرى به رَبْطُ"

(ابن زيدون، 365: 2004)

ويعني بالجواد نفسه على سبيل المجاز, ووردت لفظة (جياد) مجموعة على وجه الحقيقة في قوله:

"(ودونَ المُنى فيهم جياد صوافِنٌ
ومأثورة بيضٌ وسُمرٌ عَوامِلّ"

(ابن زيدون، 453، 2004)

ومن صفات الحصان التي وردت لدى الشاعر (السابح) و (السوابح) ، وتعني السابح السريع العدو كأنَّه يسبحُ لسرعته في العدو ومنه ما جاء في قوله:

"فما شِيمَ من ذي الهَبَّةِ الصارم الشبا
ولا حُطّ عن ذي الميعةِ السابح اللّبْدُ "

(ابن زيدون، 427: 2004)

و (الكلب) من الحيوانات الداجنة والأليفة والقريبة من الإنسان، وقد أشار الباحثون إلى خلو الشعر الأندلسي من ذكره (ينظر، خضر، 88، 89، 97: 1978) ، إلا عند ابن زيدون الذي استعمله مرتين أحداهما بصيغة جمع التكسير (كلاب) ، والآخرى بصورة مصغرة (كُليب) على سبيل المفارقة والحكمة في قوله:

"وقد تُسمعُ الليثَ الحجاشُ نهيقها
وتُعلي الى البَدْرِ النباحَ كلابُ"

(ابن زيدون، 448: 2004)

والمعنى المراد هنا " تطاول صغار الشأن وضعاف الهمم ومن هم مواطن الازدراء والمقت على أهل الفضل والرفعة والكرم والعلم ومن هم مواطن الشرف والشجاعة والإباء والعزة وعلو المنزلة " (خضر، 1978: 97).

وقد وردت أسماء الحيوانات أخرى في شعر الطبيعة لابن زيدون لم أذكرها للاختصار.

## الخاتمة

بعد تنقلنا تحت أفياء الطبيعة الخلّابة في الشعر الزيدوني آن للبحث أن يودع رحلته، ويقطفُ ثماره التي يمكنُ إيجازها بما يأتي:

1. مزجَ ابنُ زيدون بين روعة ما يُشاهده من جمال الطبيعة الخلّابه، وما تبصره عيناه من جمال مناظرها مع ما كان يكبته من هموم ألمّت به لا سيما بعد سجنه وفراقه لأمّه وولّادة بنت المستكفي.
2. اتخذ ابن زيدون من الطبيعة أداة يعبّر بها عن هجر ولّادة له بعد أن تدخّل الوشاة بينهما، فأراد ابن زيدون استعطاف ولّادة لكسب ودّها من جديدة، ووجد في الطبيعة خير معين لذلك يذكّرها بما كان بينهما وبمجالسهما معا لعلها تستذكرها فيصبو قلبها له.
3. من خلال استقراء شعر ابن زيدون في الطبيعة الثابتة وجد البحث غياب لفظة (الشجر، والأشجار) في شعره، بيد أنّه لا يعني غياب هذا النوع من الطبيعة الثابتة إذ استعمل الشاعر مرادفات له كـ (الأيكة) و (الدوحة) ، فضلاً عن حضور أسماء الشجر وانواعها (كالآس والسدر والبان).
4. كرّر ابن زيدون لفظة (الرُّبا) (خمس مرات) قياسا بلفظة الجبال التي استعملها مرة واحدة، ولعلَّ السبب في ذلك ما يستشعره من (الرُّبا) التي توحي بدلالاتٍ تفيض بالجمال والفرح؛ لِمَا فيها من خضرة ظاهرة وزهور وأشجار، ودليل ذلك أنَّ أكثر ما جاء فيه مفردة الرُّبا يتعلّقُ بالصُّورة الشعرية لمشاهد الطبيعة الجميلة.
5. استعمل ابن زيدون (البحر) في مناظر الطبيعة ومشاهدها بوصفه جزءاً من صوره الشعرية، ولم يُورده على وجه الحقيقة مذكوراً لذاته أو موصوفا، بل وردَ في صور فنية بيانية مجازاً وأكثر ما يكون في سياق المديح ولا سيما في توكيد صفة الكرم للممدوح.
6. كان للغيوم والسحب والمطر النصيب الأوفر من بين مظاهر الطبيعة الأخرى في شعر ابن زيدون، وقد نوّع ابن زيدون في استعمالها في صور مجازية تارةً، وتعابير حقيقية تارةً أخرى، وقد امتزج النوعان (الحقيقة والمجاز) أحياناً.

7. من الغوص في الشعر الزيدوني لُوحظ غياب مفردتين (حصان) و (فرس) بين أسماء الحصان، في الوقت الذي استعمل مفردة (خيل) مرة واحدة فضلاً عن إيثار الشاعر للفظتي (جواد) و (جياد) و تكرارهما أكثر من سواهما.
8. انفردَ ابن زيدون في استعماله لمفردة (الكلب) عن غيره من شعراء الأندلس الذين لم يستعملوه في شعرهم، وذكره ابن زيدون في مرتين أحداهما بصيغة جمع التكسير (كلاب) ، والأخرى بصورة مصغرة (كُليب) على سبيل المفارقة والحكمة.

## المصادر:

القرآن الكريم

[1] إبراهيم، أنيس، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار. (1985). المعجم الوسيط (ط3). مجمع اللغة العربية.

[2] ابن بسام الشنتريني، أبو الحسن علي بن بسام. (1979). الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (تحقيق إحسان عباس). دار الثقافة. (ج1).

[3] ابن زيدون، أحمد بن عبد الله. (2004). ديوان ابن زيدون ورسائله (تحقيق علي عبد العظيم). الكويت.

[4] ابن نباتة المصري، جمال الدين محمد بن محمد. (1986). سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم). دار الفكر.

[5] التلمساني، أحمد بن محمد المقري. (1949). نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (تحقيق محيي الدين عبد الحميد، ط1). مطبعة دار السعادة.

[6] خضر، حازم عبد الله. (1978). وصف الحيوان في الشعر الأندلسي. دار الشؤون الثقافية العامة.

[7] ربيع، محمود محمد أحمد. (2013). [عنوان الرسالة غير مذكور] (رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة اليرموك).

[8] شنوان، يونس. (1999). اللون في شعر ابن زيدون. منشورات جامعة اليرموك.

[9] عتيق، عبد العزيز. (1976). الأدب العربي في الأندلس. دار النهضة العربية للطباعة.

العدد السابع عشر – حزيران – June / 2026